

**العلل التعبيرية في التقديم والتأخير في
كتاب**

الكوثر الجاري للكوراني (ت ١٩٣ هـ)

إعداد

م.م. خميس عبد الجبار مطلق

المديرية العامة للتربية في محافظة الأنبار

الحمد لله منتهى العلم ومبلغ الرضا ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى ، وعلى آله وصحبه اعلام الهدى والتقى . لقي حظي الحديث النبوي بعناية العلماء متناً وسنناً ؛ لأنه يمثل المصدر الثاني من مصادر التشريع ، إذ إنَّه وحي من الله بمعناه ، وألفاظه من نطق أفصح البشر جميعاً ، فكان (عليه الصلاة والسلام) أفصح قومه كلاماً ، وأعذبهم نطقاً ، وأفضلهم حديثاً . ومن هنا فقد انصبَّت جهود العلماء في شرح الأحاديث واستخراج ما فيها من أحكام شرعية وتوجيهات ربانية ومواعظ تربوية ، إضافةً إلى ذلك الدراسات اللغوية بمختلف مستوياتها . ومن هذه الشروح كتاب (الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري) للكوراني (ت ٣٩٨ هـ) ، فبعد أن تصفَّحتُ صفحاته وجدتُ فيه موضوعاً يستحقُّ أن يُكتب فيه ، وهذا الموضوع يتعلق بالتقديم والتأخير في الخطاب النبوي ، لذلك رغبتُ أن يكون موضوع بحثي هذا تحت عنوان (العلل التعبيرية في التقديم والتأخير في كتاب الكوثر الجاري للكوراني) ؛ لِأَتناول فيه مسائل التقديم والتأخير التي نَبَّه عليها الكوراني في كتابه هذا . سائلاً الله أن يوفِّقني في عملي هذا علَّة أن يستفيد منه القارئ الكريم ، فإنَّ وُفِّقْتُ فمنه سبحانه وتعالى ، وإنَّ كانت الأخرى فَمِنْ نفسي والشيطان ، والله منه براء ، وآخر دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

Abstract

Indeed " The Nabawi Hadeeth has got on the interest of the scientists or the legislators makers because it is the second resource of the legislate . Indeed He "Our prophet" is the best man who speaks Arabic , so the researchers and the scientists of the language try to extract the rules of the "Hadeeth" and the instruction of the lord and the educational sermons as well as the linguistics studies , in the different levels . one of these studies , is the book " AL-Kawther AL-Jari Riadh Ahadeeth AL-Bukhari by AL-kourani (T: 893 h) . After I Read it I found a subject deserves to write about . this subject is " Nabawi speech in delay and submitting in the book of AL-Kawther AL-Jari to discuss the expressionism in submission and delays that AL-Kourani referred to "

التقديم والتأخير

التقديم والتأخير لغة :

التقديم : ورد الجذر (قدم) في المعجمات اللغوية بمعنى : السابقة في الأمر ، قال الخليل ابن أحمد الفراهيدي : ((والْقَدْمَةُ والقَدْمُ أَيضًا : السَّابِقَةُ فِي الأَمْرِ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَهْمُ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ ^(١) ، أَي : سَبَقَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ ، وَلِلْكَافِرِينَ قَدَمٌ شَرٌّ)) ^(٢) ، وَمُقَدَّمَةٌ كُلِّ شَيْءٍ بَدَائِئُهُ ، ((وَقَادِمُ الإِنْسَانِ : رَأْسُهُ ، وَالْجَمْعُ قُودِمٌ وَلَا يَكَادُونَ يَتَكَلَّمُونَ بِالْوَاحِدِ ، وَقَوَادِمُ الطَّيْرِ : مَقَادِيمُ الرَّئِيسِ ، عَشْرٌ فِي كُلِّ جَنَاحٍ ، وَالوَاحِدَةُ قَادِمَةٌ ، وَهِيَ الْقُدَامَى أَيضًا ، وَمُقَدَّمَةُ الرَّجُلِ : مُقَدَّمُهُ ، وَامْتَشَطَتِ الْمَرْأَةُ الْمُقَدَّمَةَ ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ المُشْطِ ، وَمُقَدَّمَةُ الْجَيْشِ أَوْلُهُ)) ^(٣) .

التأخير : ورد هذا اللفظ في المعجمات اللغوية بمعنى نقيض التقديم ، جاء في مقياس اللغة : ((الهمزة والخاء والراء أصل واحدٌ إليه ترجعُ فُرُوعُهُ ، وَهُوَ خِلافُ التَّقْدِيمِ ، وَهَذَا قِيَاسٌ أَخَذْنَاهُ عَنِ الخَلِيلِ ^(٤) فَإِنَّهُ قَالَ : الأَخْرُ نَقِيضُ المُتَقَدِّمِ ، والأَخْرُ نَقِيضُ القُدْمِ ، تَقُولُ مَضَى قُدْمًا وَتَأَخَّرَ أَخْرًا ، وَقَالَ : وَآخِرَةُ الرَّحْلِ وَقَادِمَتُهُ وَمُؤَخَّرُ الرَّحْلِ وَمُقَدَّمُهُ)) ^(٥) . من خلال هذا يتضح أنَّ (التقديم) يطلق في اللسان العربي على مقَدِّمة الشيء وبدائته ، و (التأخير) نقيض ذلك ، فالعلاقة اللغوية بينهما علاقة تضاد .

التقديم والتأخير اصطلاحاً :

أهتمَّ علماء اللغة العربية - قديماً وحديثاً - بمسألة التقديم والتأخير ؛ كونها أسلوباً من أساليب لغة العرب ، ومزية من مزاياها ، فقد ذكره سيبويه في سياق حديثه عن تقديم المفعول به على الفاعل ، قائلاً : ((وَهُوَ عَرَبِيٌّ جِدِّيٌّ كَثِيرٌ ، كَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَدْمُونُ الَّذِي بَيَّنَّاهُ أَهْمُ لَهُمْ ، وَهُمْ بَيَّنَّاهُ أَغْنَى ، وَإِنْ كَانَا جَمِيعًا يُهْمَانِهِمْ وَيَعْنِيَانِهِمْ)) ^(٦) ، ويقول سيبويه قال علماء اللغة العربية القدماء ^(٧) كالمبرِّد وابن السراج وابن جني أمَّا علماء البلاغة فقد أولوا اهتماماً في موضوع التقديم والتأخير الخاص بالمسند والمسند إليه ، وتقديم متعلقات الفعل ، وحصرها الحديث عليه في هذه المباحث البلاغية الثلاث ، وقد بيَّنوا الأغراض البلاغية وراء كل تقديم وتأخير . فقد عدَّ هؤلاء العلماء أسلوب التقديم والتأخير من أبرز الظواهر البلاغية وأهمها في لغة العرب ؛ إذ إنَّ من سُنَنِ العرب : ((تَقْدِيمُ الكَلَامِ وَهُوَ فِي المعنى مُؤَخَّرٌ ، وَتَأْخِيرُهُ وَهُوَ فِي المعنى مُقَدَّمٌ)) ^(٨) . وأسلوب التقديم والتأخير هو نوع من أنواع التوسُّع في اللغة ، وسببٌ للفصاحة ، أتى عليه أهل البلاغة - قديماً وحديثاً - يقول

عبد الفاهر الجرجاني واصفاً جمال هذا الأسلوب ولطفه : ((هو بابٌ كثيرُ الفوائد ، جَمُّ المحاسنِ ، واسعُ النَّصْرِفِ ، بعيدُ الغايةِ ، لا يزالُ يُفْتَرُّ لك عن بَدِيعِهِ ، ويفضي بك إلى لطيفِهِ ، ولا تزالُ ترى شعراً يروفاًكَ مَسْمَعُهُ ، ويَلْطَفُ لَدَيْكَ مَوْعُهُ ، ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أن راقَكَ ولطفَ عندكَ ، أن قُدِّمَ فيه شيءٌ ، وحوَلُ اللفظِ عن مكانٍ إلى مكانٍ))^(٩) . ويرى ابن الأثير أنَّ في هذا الأسلوب أسراراً بلاغيةً لطيفةً ودقيقةً ، فهو يقسمه على قسمين ، قائلاً : ((وهو ضربان : الأوَّلُ يختصُّ بدلالة الألفاظ على المعاني ، ولو أُخِّرَ المقدمُ أو قُدِّمَ المؤخَّرُ لتغيَّرَ المعنى ، والثاني : يختصُّ بدرجة التقدُّم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك ، ولو أُخِّرَ لما تغيَّرَ المعنى))^(١٠) . ثم يرى ابن الأثير أنَّ الضرب الأوَّلُ يُقسم على قسمين :

أحدهما : أن يكون التقديم فيه هو الأبلغ ، كتقديم المفعول به على الفعل ، وتقديم الخبر على المبتدأ ، وتقديم الظرف أو الاستثناء أو الحال على العامل^(١١) .

والآخر : أن يكون التأخير فيه هو الأبلغ ، ومما جاء على ذلك قول الشاعر :

فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ خَطِّ بَهْجَتِهَا *** كَأَنَّ قَفْرًا رُسُومَهَا قَلَمًا^(١٢)

فالشاعر قدَّم^(١٣) خبر (كأن) عليها ، وهو قوله (خط) ، والتقدير : فأصبحت بعد بهجتها قفراً ، كأنَّ قلمًا خطَّ رسومها ، وهذا وأمثاله مما لا يجوز قياس عليه^(١٤) . وأمَّا الضرب الثاني فإنه مما لا يحصره حدٌ ، ولا ينتهي إليه شرحٌ ، فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر : تقديم السبب على المسبب ، كقوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾^(١٥) ، فَإِنَّمَا قُدِّمَتِ العِبَادَةُ على الاستعانة ؛ لأنَّ تقديم القرية والوسيلة قبل طلب الحاجة أنجح لحصول الطلب ، وأسرع لوقوع الإجابة^(١٦) . وعند استقصائي لمواضع التقديم والتأخير في كتاب (الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري) وقفت على المسائل الآتية :

١- **تقديم المبتدأ** : ذكر النحاة مسألة تقديم المبتدأ على الخبر أو العكس وأفردوا لها مباحث طويلةً واسهبوا في ذلك وأفاضوا في الحديث عنها ، ولا يكاد أن يخلو كتاب نحويٍّ من هذه المسائل ، بل ذكروا الحالات التي يجب أن يقدم فيها المبتدأ ، والحالات التي يجب فيها تقديم الخبر ، وحالات الجواز^(١٧) ، والذي يعنينا في بحثنا هذا أنه إذا وجدت جملة اسمية مكونة من معرفتين فأيهما تكون مبتدأً ، والأخرى خبراً عنها ؟ . وللجواب عن ذلك يجب أن نوضح آراء النحويين والبلاغيين في هذه المسألة ، فالنحويون^(١٨) قد أجازوا أن يكون كلٌّ منهما هو المبتدأ ، وأن يكون الخبر ، قال المبرد : ((فَإِنْ كَانَ الاسم والخبر معرفتين فأنت بالخيار تقول : " كان أخوك المنطلق " ، و" كان أخوك المنطلق "))^(١٩) ، ويعربون المقدم مبتدأً ، والمؤخَّرَ خبراً عنه ، ((ولا يجوز تقديم الخبر هنا ، بل أيهما قدمت فهو المبتدأ))^(٢٠) ؛ والعلة في وجوب تقديم المبتدأ وتأخير الخبر مخافة التباسه بالمبتدأ^(٢١) . أمَّا البلاغيون فإنهم بحثوا في الأمر بحثاً فكرياً منطقياً دقيقاً ، ناظرين إلى حال المخاطب ، فأَيُّ المعرفتين هو الأعراف بالنسبة إليه وحالته تتطلب مزيداً من العلم عنه يُجعل هو المبتدأ والآخر هو الخبر ، وتُرْتَبُّ له الجملة بتقديم المبتدأ وتأخير الخبر ، ولتوضيح هذه المسألة ضرب بعض أهل البلاغة مثلاً على ذلك ، أنه من عرف مثلاً الإمام الشافعيَّ وجهل أنه هو الشاعر الأوَّل بين الفقهاء فيقال له : الإمامُ الشافعيُّ الشاعرُ الأوَّل بين الفقهاء ، بجعل الإمام مبتدأً ، والشاعر خبراً عنه ، ومن عرف وجود شاعر هو الشاعر الأوَّل بين الفقهاء ، واستقرَّ ذلك في ذهنه ، وسمع شعره أو قرأه ، وهو لا يعرف أنه هو الإمام الشافعيُّ ، فيقال له : الشاعرُ الأوَّل بين الفقهاء الإمامُ الشافعيُّ^(٢٢) ، ومما جاء على ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾^(٢٣) ، فبنى هذه الآية على ما سبق أن قرره في أذهانهم وأفكارهم حول ربِّهم ، فالمخاطبون في هذه الآية الكريمة مُقَرَّرَ لهم الربُّ ، إلا أنه بيَّن لهم أنَّ هذا الربُّ هو الله الذي خلق السموات والأرض ؛ لئلا تتصرف أذهانهم إلى أربابٍ يعبدونها من دون الله^(٢٤) . ومن المواضع التي ذكرها الكوراني في كتابه (الكوثر الجاري) والتي تقدَّم فيها المبتدأ وجوباً قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : ((ليس الكذابُ الذي يُصلِحُ بينَ الناسِ ، فيُنمي خيراً ، أو يقول خيراً))^(٢٥) ، قال الكوراني في شرح هذا الحديث : ((والصواب أن المبتدأ والخبر إذا كانا معرفتين ، مثل (زيدٌ أخوك) ، و (أخوك زيدٌ) ، ما كان معلوماً معنى عند السامع ، وهو كالمطالب للحكم علةً بالآخر يجبُ تقديمُهُ ، وما نحن فيه من ذلك ؛ لأنَّ المخاطب يعلم أنَّ من أخبر بخلاف الواقع كاذبٌ ، فكان المهمُّ تقديمُهُ ، والحكمُ عليه بشيءٍ آخر))^(٢٦) والذي يبدو للباحث أنَّ ما ذهب إليه الكوراني لا يخرج عما ذهب إليه أهل البلاغة في العلة من وجوب تقديم إحدى المعرفتين وجعلها مبتدأً والأخرى خبراً عنها ، فلو قلنا بقلب التركيب وقيل : ليس الذي يُصلِحُ بين الناس بكاذبٍ لفسد المعنى ؛ لأنَّ المخاطب يعلم أنَّ من أخبر بخلاف الواقع كاذبٌ ؛ لذلك وجب تقديم المبتدأ .

٢- تقديم الخبر على المبتدأ^(٢٧) : إنَّ أصل رتبة المبتدأ التقدُّم على رتبة الخبر ؛ لأنَّه المسند إليه محكومٌ عليه ، والحكم على الشيء لا يكون إلا بعد معرفته ، فصار لزماً تأخير الخبر ؛ لأنَّه وصف المبتدأ ومحكوم به ، فحقَّه التأخير لفظاً كما هو متأخِّر معنًى^(٢٨) ، وقد يعدل المتكلِّم عن هذا الأصل المألوف ، فيقدِّم ما كان مألوفاً تأخيره ؛ وذلك لمعنى يقصده ، إذ لا يتحقَّق ذلك المعنى بالتزام الأصل ؛ لأنَّ الكلمات تقتضي في نظامها آثار المعاني ، ويكون ترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس ، ((فإذا وجب لمعنى أن يكون أوَّلاً في النفس ، وجب للفظ الدالُّ عليه أن يكون مثله أوَّلاً في النطق))^(٢٩) . إنَّ العدول عن الأصل المألوف في المبتدأ والخبر يكون لأغراضٍ ومعانٍ تختلف عن الأغراض والمعاني في حالة التزام الأصل في الترتيب ، فإذا جاء الخبر مقدِّماً على المبتدأ ف ((لا بدُّ أن يكون لكلِّ تعبير معنى متعدِّد))^(٣٠) وعليه فإنَّنا نستطيع القول أنَّ الخبر لا يتقدَّم على المبتدأ إلا لأغراضٍ بلاغيَّة تُضفي على الجملة روعةً وجمالاً ، فأنت لا ترى تلك الروعة وذلك التناغم في الجملة لو أحرَّت هذا الخبر ، يضاف إلى ذلك أنَّ تقدُّم هذا الخبر على المبتدأ يحقق معنًى جديداً أو يؤكِّد معنى سابقاً في الجملة ، وقد أهتمَّ البلاغيُّون بمسألة الأغراض البلاغيَّة المتحقِّقة من هذا التقديم ، وهي كثيرةٌ مبثوثة في كتب البلاغة^(٣١) ، وقد يضيِّق المقام بذكرها ، إلا أنَّي سأقتصر فيها على ما يناسب المسائل التي ذكرها الكورانيُّ في كتابه ، وهي :

١- التشويق : وهذا الغرض من أهمِّ الأغراض البلاغيَّة التي ذكرها علماء البلاغة ، وهو من نكات تقديم المسند البلاغيَّة ؛ لإفادة التشويق إلى ذكر المسند إليه ، واستدلُّوا^(٣٢) على هذا الغرض بقول الشاعر :

ثَلَاثَةٌ تَشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا *** شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ^(٣٣)

فعند إنعام النظر في هذا البيت نلاحظ تشويقاً متأتِّ من تقدُّم المسند (ثلاثة) والجملة التي بعدها (تشرق الدنيا ببهجتها) على المسند إليه (شمس الضحى) وما عطف إليه ، وهذا التقديم جعل المتلقي أكثر تشويقاً وتأهباً لمعرفة مَنْ هم الثلاثة الذين تشرق الدنيا ببهجتها ؟ ، وبعد إحدائه لكلِّ هذا التشويق لدى السامع راح يذكرهم بادئاً بالشمس ومنتهياً بالقمر^(٣٤) . فإشراق الدنيا أمرٌ يُشوق النفس إلى معرفة هذه الأشياء الثلاثة التي جعلت الدنيا بحسنها تضيء وتتألَّف ، فإذا عرفت النفس ذلك تمكَّن المسند إليه المتأخِّر فيها واستقرَّ^(٣٥) . والموضع الذي ذكره الكورانيُّ والذي يخصُّ هذا الغرض البلاغيُّ قوله (صلى الله عليه وسلم) : ((كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ ، حَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، تَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ))^(٣٦) . وقال الكورانيُّ : ((" سُبْحَانَ اللهِ " وما عُطِفَ عليه مبتدأ ، و " كَلِمَتَانِ " مع الأوصاف خبر ، وقُدِّم الخبر على المبتدأ تشويقاً إليه . وهذا بابٌ من البلاغة له شأنٌ عند أربابها لاسيما إذا كان فيه تطويل))^(٣٧) . والذي يبدو للباحث أنَّ ما ذكره الكورانيُّ من علَّة تقديم الخبر في هذا الحديث لا يخرجُ عمَّا قال به مَنْ سَبَقَهُ أو مِمَّنْ جاء بعده من شُرَّاح الحديث أو علماء البلاغة ، إلاَّ التَّوَعُّبُ في صياغة العبارة ، وطريقة التَّنْقِيسِ بها^(٣٨) . فالسُّكَّاكِيُّ يرى أنَّ هذا التشويق المتأتي من تقديم الخبر ما كان له أن يحصل لولا تطويل الكلام في الخبر ؛ وذلك لأنَّه كلما كَثُرَ التَّشْوِيقُ بالتَّطْوِيلِ بذكر أوصافه الجارية ازداد شوق السامع إلى المبتدأ^(٣٩) ؛ ((لأنَّ كثرة الأوصاف الجميلة تزيد السامع شوقاً))^(٤٠) إلى المبتدأ . ويرى ابن عاشور أنَّ ما دُكِرَ في علم المعاني من التَّشْوِيقِ الحاصل في تقديم الخبر في نحو : ((كلمتان حبيبتان إلى الرحمن))^(٤١) ، ونحو : ((ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها))^(٤٢) مرَّدهُ إلى استبقاء الذهن لما هو أولى بالإيعاء ، وتهيئة السمع لما هو أجدرُّ بالإصغاء^(٤٣) . ومما تجدرُّ الإشارة إليه أنَّ هناك مَنْ لا يرون أنَّ في هذا الحديث تقديم الخبر ، بل يجعلون هذا الحديث جاء على أصله ، إذ نقل الاستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين ترجيح بعض مَنْ ذهب إلى هذا الرأي ، قائلاً : ((ورجَّح بعضهم^(٤٤) كون " سبحان الله ... إلخ " هو الخبر ؛ لأنَّه مؤخَّر لفظاً ، والأصل عدم مخالفة اللفظ محلُّه إلا لموجب يُوجبه ؛ ولأنَّه محطُّ للفائدة بنفسه بخلاف " كلمتان " ^(٤٥) ، فإنَّه إمَّا يكون محطاً للفائدة باعتبار وصفه بالخفة على اللسان ، والنقل في الميزان ، والمحبة للرحمن ؛ لا باعتبار ذاته ؛ إذ ليس مُتعلِّق الغرض الإخبار منه (صلى الله عليه وسلم) عن " سبحان الله ... إلخ " بأنَّهما كلمتان ؛ بل بملاحظة وصفه بما دُكِرَ ، فكان اعتبار " سبحان الله ... إلخ " خبراً أولى))^(٤٦) . والذي يبدو للباحث أنَّ الاستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين يقول بالتقديم والتأخير في هذا الحديث ، ولم يوافق مَنْ قال بعدمه ؛ لسببين :

أحدهما : أنَّه قال قبل نقل التَّرجيح : ((وقُدِّم الخبر ليشرف السامع إلى المبتدأ فيكون أوقع في النفس ، وأدخل في القبول))^(٤٨) .

والآخر : أنَّه يرى أنَّ (سبحان الله) معلوم ، و (كلمتان) باعتبار وصفه بما دُكِرَ مجهول ، والقاعدة تقول : إذا اجتمع معلومٌ ومجهولٌ يُجَعَلُ المعلومُ مبتدأً والمجهولُ خبراً عنه^(٤٩) . والباحث يميل إلى قول من ذهب إلى التقديم والتأخير في هذا الحديث الشريف ؛ وذلك بما قدموه من نكت بلاغيَّة وأدلة نحويَّة ومنطقيَّة .

٢- الحصر أو القصر : هو تخصيص أمر بأخر بإحدى الطرق الأربع^(٥٠) ، وقيل أنها أكثر من أربع^(٥١) ، وهو يجري بين الفعل والفاعل ، وبين المبتدأ والخبر ، وبين الفعل والظرف والحال وغيرها ، وهو مُنْقَسِمٌ بالاستقراء إلى قصر حقيقي ومجازي^(٥٢) . وقد تطرّق البلاغيون بالتفصيل عن هذه الطرق ، ومن هذه الطرق التي عدّها في هذا الباب الحصر أو القصر بتقديم ما حقّه التأخير ، ويقسمونه على قسمين :
أحدهما : قصر موصوف على صفة ، ويكون :

١- إمّا قصر إفراد ، وذلك نحو قولنا : (شاعر هو) ، ولمنّ يعتقدّه شاعرًا وكاتبًا .

٢- أو قصر قلب ، وذلك نحو قولنا : (قائم هو) ، لمنّ يعتقدّه قاعدًا .

والآخر : قصر صفة على موصوف ، ويكون هذا أيضًا :

١- إمّا قصر إفراد ، نحو : (أنا كفيثٌ مُهمّك) ، أي : وحدي ، لمنّ يعتقد أنّك وغيرك كفيتماه مُهمّة .

٢- أو قصر قلب كما في المثال السابق ، لمنّ يعتقد أنّ غيرك كفي مُهمّة دونك^(٥٣) .

ولم ينبّه الكوراني على هذا الغرض في كتابه إلا مرة واحدة ، وذلك في قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : ((... في خمسٍ لا يعلمهنّ إلا الله))^(٥٤) ، ثم تلا النبي (صلى الله عليه وسلم) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾^(٥٥) ، قال الكوراني : ((" في خمسٍ لا يعلمهنّ إلا الله " خبر مبتدأ ؛ أي : علم الساعة مُندرج في هذه الخمس ، واستدلّ^(٥٦) على ذلك بالآية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ... ﴾^(٥٧) ،

إلى آخر الآية ؛ فإنّ تقديم الخبر يدلّ على الحصر ، وأنّ هذه الخمس ممّا استأثّر الله بها ، لا يُطْلَعُ عليها أحدًا بخلاف غيرها ؛ فإنّه يُطْلَعُ عليها من شاء من الرسل والأنبياء ؛ ولهذا سماها : أمّهات الغيوبِ تاوّه ، ومفاتيح الغيوبِ أخرى))^(٥٨) . وقد ذكر صاحبُ كتاب (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرّيب) أنّ هذه الخمس التي لا يعلمها إلا الله هي مفاتيح الغيب ، قائلًا ((وما وردَ في الحديث المشهور : { في خمسٍ لا يعلمهنّ إلا الله } فإنه " صلواتُ الله عليه " أدخل كلهنّ في علم الغيب على سبيل الحصر))^(٥٩) ، ((ومعنى حصر مفاتيح الغيب في هذه الخمسة : أنّها هي الأمور المُعَيَّبَةُ المُتَعَلِّقَةُ بأحوال الناس في هذا العالم ؛ وأنّ التّعبيرَ عنها بالمفاتيح أنّها تكون مجهولة للناس ؛ فإذا وقعت فكأنّ وفوعها فتّح لِمَا كان مُغْلَقًا))^(٦٠) ، ((وظاهر هذه الأخبار يقتضي أنّ ما عدا هذه الخمس من المُعَيَّبَاتِ قد يَعْلَمُهُ غيرُهُ عزّ وجلّ))^(٦١) . وقد خرّج الإمام أحمد في مسنده عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أنّه قال : أُوتِيَ نَبِيُّكُمْ (صلى الله عليه وسلم) مفاتيح كلِّ شيءٍ إلا خمس ، وقرأ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ... ﴾^(٦٢)^(٦٣) . والذي يبدو للباحث أنّ ما ذهب إليه المفسّرون وما قال به شراح الحديث لا يخالف ما ذهب إليه الكوراني من أنّ حصر هذه المُعَيَّبَاتِ الخمس جاء نتيجة تقدّم الخبر على المبتدأ .

٣- العناية والاهتمام : تتاول البلاغيون العناية والاهتمام باعتباره غرضًا من أغراض تقديم الخبر على المبتدأ ، ومثلوا لذلك بنصوص من القرآن الكريم والأحاديث النبويّة وممّا قالته العرب من نظمها ونثرها ، ومن ذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءِالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ ﴾^(٦٤) ، إذ فُتِمَ الخبر وهو (راغب) على المبتدأ وهو (أنت) مُبالغةً في العناية والاهتمام بالإنكار على إبراهيم في رغبته عن ألّهتهم ، وأنّه لا ينبغي له الإعراض عنها ، وهذا المعنى لا يتحقّق لو قال : (أنت راغب ؟)^(٦٥) . وهناك من المُحدّثين من قال : ((أنّه لا يكفي أن يُقال : قدّم هذا الشيء للاهتمام به ؛ بل لابدّ من بيان سبب الاهتمام ، بأن يُقال : اهتّم به لكون الأصلِ تقديمه ، ولا مقتضى للعدول عن تلك الأصالة ؛ أو لأجل أنّ يتمكّن الخبر في ذهن السامع ... إلخ))^(٦٦) . ومن خلال استقصائي لكتاب الكوثر الجاري لم أجد إلا موضعًا واحدًا نبّه فيه الكوراني على هذا الغرض ، وذلك في قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : ((يا أبا ذرٍّ أعزّرتُه بأمّته ؟ إنك امرؤٌ فيك جاهليّة ، إخوانك حوّلوكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه ممّا يأكل ، وليلبسه ممّا يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم))^(٦٧) ، قال الكوراني : ((أصلُ الكلام : حوّلوكم إخوانكم ؛ لأنّ الحوّل هم الحنم ؛ فأراد إلحاقهم بالإخوان . وإنّما قلبَ التركيب مُبالغةً ؛ كأنهم صاروا في ذلك أصلًا يُحقّق بهم))^(٦٨) . وردت اللفظة (الحوّل) في اللسان العربي في عدّة معانٍ ، منها : الحنم والعييد ، قال الخليل : ((الحوّل : ما أعطاك الله من العبيد والنعم ... وهؤلاء حوّل لفلان ، أي : اتخّذوهم كالعبيد ذلًا وقهْرًا))^(٦٩) . يرى أكثرُ شراح الحديث أنّ في عبارة (إخوانك حوّلوكم) وجهين إعرابين هما :

الأول : أنّ (إخوانك حوّلوكم) كلّ منهما خبرٌ حذِفَ مُبتدأُهُ ، أي : (هم إخوانك ، هم حوّلوكم) ، فعلى هذا الوجه لا تقديم ولا تأخير فيه .

الثاني : أنّ (إخوانك حوّلوكم) خبرٌ مقدّمٌ ومبتدأٌ مؤخّرٌ^(٧٠) ، وإنّما قدّم الخبر على المبتدأ لأغراض بلاغيّة ، أهمّها :

أولاً : الاهتمام بشأن الإخوة : ففي هذا التركيب أخبر (عليه الصلاة والسلام) عن الإخوة بالخول ، مع أنّ القصد عكسه ، فالمقصود هو الإخبار عن الخول بالإخوة ؛ وإنما قُدم الخبر على المبتدأ هنا للعناية والاهتمام بشأن الإخوة ؛ وأنها ينبغي أن لا تُنسيها الخدمة ؛ لأنّ الخدمة مدعاة للتبجيل والاحترام ، وليست مدعاة للتحقير والإهانة^(٧١) .

ثانياً : الحصر : أي : حَصُرَ الخَوْلُ على الإخوان ، والمعنى : ليس الخَوْلُ إلا إخوانكم^(٧٢) ؛ أي : من جهة تَقَرُّعِ الكلِّ عن أصلٍ واحدٍ وهو آدم (عليه الصلاة والسلام)^(٧٣) ، وهذا مدعاة لِيَتَوَكَّنَ العلاقة قائمةً على التبجيل والإجلال ، وليس على الإذلال والاستصغار ؛ فألحقهم بالإخوان ؛ ولهذا حصر الخول على الإخوة .

ثالثاً : القلب لملاحة الكلام : يرى بعضُ شُرَاحِ الحديث أنّ هذا التقديم أُريد به ملاحه الكلام ، ومثّلوا له بقول أبي تَمَّام :

نَمْ وَإِنْ لَمْ أَنْتُمْ كَرَايَ كَرَاكَ *** شاهِدِي الدَّمْعَ إِنَّ ذَاكَ كَذَاكَ^{(٧٤)(٧٥)} .

ويرى عبد القاهر الجرجاني أنّ في هذا البيت تقديمًا ، والأصل : (كَرَاكَ كَرَايَ) ، أي : نَمْ ، وَإِنْ لَمْ أَنْتُمْ فَنُؤْمِكْ نومي^(٧٦) ، فُقَدِمَ الخبر لمُلاحَةِ الكلام .

٣- تقديم المفعول الثاني على المفعول الأول :

إنّ الأصل في هذه المسألة أن يتقدم المفعول الأول على الثاني ، إلّا أنّ هناك مواضع يتقدّم فيها الثاني على الأول ، وهذا التقدّم إما أن يكون من باب الوجوب ، وإما لنكتة بلاغية ، يقول سيبويه : ((وَهُوَ عَرَبِيٌّ جَيِّدٌ كَثِيرٌ ، كَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يُقَدِّمُونَ الَّذِي بَيَّنَّاهُ أَهْمُ لَهُمْ ، وَهُمْ بَيَّنَّاهُ أَغْنَى ، وَإِنْ كَانَا جَمِيعًا يُهْمَانِهِمْ وَيُعِينَانِهِمْ))^(٧٧) . وهذه المسألة كَثُرَ الكلامُ عنها في كتب النحو والبلاغة ، وقلما نجدُ كتابًا خلا منها^(٧٨) ، وممّا جاء على نحو ذلك قول الشاعر :

تَرَى الثَّوْرَ فِيهَا مُدْخِلَ الظِّلِّ رَأْسُهُ *** وسائِرُهُ بَادٍ إِلَى الشَّمْسِ أَجْمَعُ^(٧٩) .

ف ((قُدِّمَ فِيهِ المَفْعُولُ الثَّانِي عَلَى المَفْعُولِ الأوَّلِ ، وَهُوَ غَيْرُ مُلَبِّسٍ فَحَسَنٌ))^(٨٠) ، فكان الوجه أن يُقال : مُدْخِلَ رَأْسِهِ الظِّلِّ ؛ لأنّ الرأس هو الداخل في الظلِّ ؛ والظلُّ هو المُدْخَلُ فيه^(٨١) . ويرى الدكتور فاضل صالح السامرائي (أطال الله عمره وأحسن عاقبته) أنّ مسألة تقديم المفعول الثاني على الأول لا بُدَّ لها من غرضٍ بلاغيّ يقتضيه المقام ، نحو قوله تعالى : ﴿ فُرُؤُنَا الَّذِينَ أَلْمَنُوا بِاللَّهِ مِنْ عِبَادِنَا ﴾^(٨٢) ، فُقَدِمَ (الكتاب) على (الذين اصطفينا من عبادنا) ؛ وذلك لأنّ الكلام في سورة فاطر جارٍ على الكتاب فناسب تقديمه ، في حين ترى أنّ (الكتاب) في سورة غافر قد تأخّر ؛ إذ جاء على الأصل ، قال تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴾^(٨٣) ؛ والسبب في تقديم (بني إسرائيل) على (الكتاب) في هذا السورة هو كون الكلام في هذه السورة جارياً على حملة الكتاب ؛ فلذلك قُدِّمَ^(٨٤) ومما جاء على ذلك قَوْلُهُ (عليه الصلاة والسلام) : ((لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ : بِسْمِ اللَّهِ ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا ، فَقَضَى بَيْنَهُمَا وَلَدَّ لَمْ يَضُرَّهُ))^(٨٥) ، قال الكوراني : ((فَإِنْ قُلْتَ : لِمَ جَعَلَ " الشَّيْطَانَ " فِي الأوَّلِ مَفْعُولًا ثَانِيًا ، وَفِي الثَّانِي مَفْعُولًا أوَّلًا ؟ ، قُلْتَ : اهْتِمَامًا بِشَأْنِ الوَلَدِ المَرْزُوقِ ؛ فَإِنَّهُ سَبَبُ وَضْعِ الدَّعَاءِ والسِّيَاقِ لَهُ ، وَذِكْرُ الرَّجُلِ نَفْسَهُ وَقَعَّ بِالْعَرَضِ))^(٨٦) . وقد تَتَبَّعْتُ هذه المسألة في كتب شروح الحديث فلم أجِدْ مَنْ تكلّم بشأن هذا التقديم ، غير أنّي وجدتُ هناك كلامًا لابن بطال يشير إلى هذا التقديم ، حيث قال : ((هذا الحديث مطابق لقوله تعالى ، حاكيا عن مريم : ﴿ وَإِنِّي أَعِذُّهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾^(٨٧)))^(٨٨) . والذي يراه الباحث أنّ هناك سببًا آخر لهذا التقديم يتعلّق بمسألة التكليف الشرعيّ ؛ ذلك لما كان الذي يأتي أهله بالغًا مكلفًا أمرًا داعمًا أن يتجنّب الشيطان ، أمّا المرزوق فإنه غير مكلف ؛ لذلك أمر الأب داعمًا بأن يُجنّب الله الشيطان المرزوق ؛ ومن هنا تُنصَحُ مسألة المطابقة في هذا مع قول امرأة عمران في تلك الآية الكريمة .

٤- تقديم فعلٍ على مُتعلِّقٍ فعلٍ آخَرَ : يرى سيبويه أنّ التقديم والتأخير إذا كان لأجل العناية والاهتمام عربيّ جَيِّدٌ كَثِيرٌ ، فهو يقول : ((وجميع ما ذكرت لك من التقديم والتأخير والإلغاء والاستقرار عربيّ جَيِّدٌ كَثِيرٌ ، فمن ذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾^(٨٩) . وأهل الجفَاء من العرب يقولون : " وَلَمْ يَكُنْ كُفُوًا لَهُ أَحَدٌ " كأنَّهُمْ أَخْرَوْهَا حَيْثُ كَانَتْ غَيْرَ مُسْتَقَرَّةٍ))^(٩٠) ويرى السكاكي أنّ التقديم في أغلب المسائل يأتي للعناية بشأن المتقدّم والاهتمام به ؛ لكونه يقع في النفس نُصَبَ العين ، وأنّ التفات الخاطر إليه في تزايد ، كقولك : (وَجَهَ الحبيبِ اتمنى) لمن قال لك : ما الذي تتمنى ؟^(٩١) .

وقد نبّه الكوراني على هذه المسألة في شرح قوله (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ مَرَّ فِي شَيْءٍ مِنْ مَسَاجِدِنَا أَوْ أَسْوَاقِنَا بِنَيْلٍ فَلْيَأْخُذْ عَلَى نِصَالِهَا ، لَا يَعْزُرَ بِكَفِّهِ مُسْلِمًا))^(٩٢) قائلًا : ((وقوله : " لَا يَعْزُرُ " بالجزم على الجواب ، وقوله : " بِكَفِّهِ " مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ : " فَلْيَأْخُذْ " ، وَقُدِّمَ عَلَيْهِ " لَا يَعْزُرُ " اهتمامًا مع عدم اللبس ، وقد جاء في رواية أبي أسامة^(٩٣) هكذا : " فَلْيُمْسِكْ عَلَى نِصَالِهَا بِكَفِّهِ " ^(٩٤) ، وفي رواية مسلم^(٩٥) : " فَلْيَأْخُذْ بِنِصَالِهَا "))^(٩٦) . وردت لفظة (النَّصْلُ) في كلام العرب في عدة معانٍ ، قال الخليل : ((النَّصْلُ لِلسَّيْفِ حَدِيدَتُهُ ، وَنِصْلُ السِّهَامِ ، وَنِصْلُ البُهْمَى وَنَحْوَهَا مِنَ النَّبَاتِ إِذَا حَرَجَتْ نِصَالُهَا ، وَأَنْصَلْتُ السَّهْمَ : أَخْرَجْتُ نِصْلَهُ ، وَنِصَلْتُهُ : جَعَلْتُ لَهُ نِصْلًا ، وَالْمُنْصَلُ : اسْمُ السَّيْفِ ، وَنِصْلُهُ حَدِيدَتُهُ))^(٩٧) . وأما لفظة العُزْرُ فلها أيضًا معانٍ كثيرة في اللسان العربي ، قال الخليل : ((العُزْرُ : كَالجَرْحِ ، سَرَجٌ مَعْزَرٌ ، وَكَلْبٌ عَقُورٌ يَعْزُرُ النَّاسَ ، وَعَقْرَتُ الفَرَسِ : كَشَفَتْ قَوَائِمَهُ بِالسَّيْفِ ، وَفَرَسٌ عَقِيرٌ مَعْقُورٌ ، وَكَذَلِكَ يُفَعَلُ بِالنَّاقَةِ ، إِذَا سَقَطَتْ نَحْرُهَا مُسْتَمَكِنًا مِنْهَا ، وَكُلُّ عَقِيرٍ مَعْقُورٌ ، وَجَمَعُهُ عَقْرَى))^(٩٨) . يرى شَرَّاحُ الحديث أَنَّ الفعل (لَا يَعْزُرُ) جاء مجزومًا ؛ لِأَنَّهُ وَقَعَ فِي جَوَابِ الأَمْرِ ، إِلا أَنَّهُ يَجُوزُ فِيهَا الرِّفْعُ عَلَى الاستِنْفَافِ ، وَأَنَّ (بِكَفِّهِ) يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ : (فَلْيَأْخُذْ) ، لَا بِقَوْلِهِ : (لَا يَعْزُرُ) ؛ لِأَنَّ العُزْرَ بِالكِفِّ لَا يُتَصَوَّرُ ، وَخُصُوصًا إِذَا كَانَ الكَلَامُ عَنِ النِّهْيِ ، فَضْلًا عَنِ وَرُودِ أَحَادِيثِ صَحِيحَةٍ^(٩٩) قُدِّمَ فِيهِ (بِكَفِّهِ) عَلَى الفِعْلِ (لَا يَعْزُرُ)^(١٠٠) ؛ والسبب في تقديم جواب الطلب (لَا يَعْزُرُ) على مُتَعَلِّقِ فعل الطلب (بِكَفِّهِ) إِنَّمَا جَاءَ لِأَجْلِ الإِهْتِمَامِ بِهِ مَعَ عَدَمِ اللِّبْسِ^(١٠١) . وهناك من يرى أَنَّ (بِكَفِّهِ) يَتَعَلَّقُ بِالفِعْلِ (لَا يَعْزُرُ) ، وَعَلَى مَعْنِيَيْنِ :

الأول : أَنَّ يُرَادُ مِنَ (الكِفِّ) اليَدُ ، أَي : لَا يَعْزُرُ بِيَدِهِ ، أَي : بِاخْتِيَارِهِ مُسْلِمًا .

الثاني : أَنَّ يُرَادُ مِنْهُ كَفُّ النَفْسِ ، أَي : لَا يَعْزُرُ بِكَفِّهِ نَفْسَهُ عَنِ الإِخْذِ ، أَي : لَا يَجْرَحُ بِسَبَبِ تَرْكِهِ أَخْذَ النَّصَالِ مُسْلِمًا^(١٠٢) ، وَعَلَى هَذَا القَوْلِ وَهَذِينَ المَعْنِيَيْنِ لَا تَقْدِيمَ وَلَا تَأْخِيرَ فِي المَسْأَلَةِ . وَالَّذِي يَمِيلُ إِلَيْهِ البَاحِثُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَصْحَابُ الرَّأْيِ الأَوَّلِ بِقَوْلِهِمْ : أَنَّ (بِكَفِّهِ) يَتَعَلَّقُ بِالفِعْلِ (فَلْيَأْخُذْ) ، لَا بِالفِعْلِ (لَا يَعْزُرُ) ؛ وَذَلِكَ لِلسَّبَابِ الآتِيَةِ :

١- وَرُودِ أَحَادِيثِ صَحِيحَةٍ تَقَدَّمَ فِيهَا (بِكَفِّهِ) عَلَى (لَا يَعْزُرُ) .

٢- أَنَّ العُزْرَ بِالكِفِّ لَا يُتَصَوَّرُ ، كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَصْحَابُ القَوْلِ الأَوَّلِ .

٣- أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) عِنْدَمَا رَأَى الرَّجُلَ الَّذِي مَرَّ بِالمَسْجِدِ وَمَعَهُ السِّهَامُ أَمَرَهُ أَنْ يُمْسِكَ عَلَى نِصَالِهَا ؛ خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَ مُسْلِمًا مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ صَاحِبُهَا - وَهَذَا مِنْ كَرِيمِ خُلُقِهِ وَرَافَقَتِهِ بِالمُؤْمِنِينَ (صلى الله عليه وسلم) - وَهَذَا الإِمْسَاكُ عَلَى النِّصَالِ لَا يَتَحَقَّقُ إِلاَّ بِالكِفِّ ، أَي : بِاليَدِ .

الهوامش

(١) يونس : ٢ .

(٢) كتاب العين ، مادة (القم) : ١٢٢/٥ .

(٣) جمهرة اللغة ، مادة (دقم) : ٦٧٥/٢ ؛ وينظر : لسان العرب ، مادة (قدم) : ٣٥٥٣/٥ .

(٤) ينظر : كتاب العين ، مادة (أخر) : ٣٠٣/٤ .

(٥) معجم مقاييس اللغة ، مادة (أخر) : ٧٠/١ ؛ وينظر : لسان العرب ، مادة (أخر) : ٣٨/١ .

(٦) الكتاب : ٣٤/١ .

(٧) ينظر : المقتضب : ١٩٠/٤ ؛ والأصول في النحو : ٢٢٨/٢ ؛ والخصائص : ٣٨٤/٢ .

(٨) المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ٢٦٨/١ .

(٩) دلائل الإعجاز : ١٠٦ .

(١٠) المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر : ٣٥/٢ .

(١١) الأمثلة على ذلك سنأتي في فترات هذا المبحث .

(١٢) البيت من المنسرح لذي الرمة : ديوانه : ١٩٠٩/٣ .

- (١٣) والجدير بالذِّكْر أنَّ بعض النحاة رأى في تقديم (خطّ) الذي هو خبر (كأنّ) عليها لحنًا فاحشًا ، والفصلُ بخبر (أصبحت) بين (كأنّ) وتابعتها لحنٌ فاحشٌ أيضًا . ينظر : الانتخاب لكشف الأبيات المشكّلة الإعراب : ٧٠ ؛ وخرزانه الأدب وغاية الأرب للحموي : ٣٩٨/١ .
- (١٤) ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ٣٥/٢ - ٤١ .
- (١٥) الفاتحة : ٥ .
- (١٦) ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ٤٣/٢ . وهناك من المفسّرين مَنْ يرى أنّ هذا التقديم (في سورة الفاتحة) قُصِدَ به الاختصاص والحصر ، إذ لو أُجْزَرَ لتغيّر المعنى ، ينظر : الكشّاف : ١٣/١ ؛ وأنوار التنزيل وإصرار التأويل : ٢٩/١ . ويرى ابن عطية وأبو حيّان أنّ هذا التقديم أفاد الاهتمام بالمفعول والعناية به ؛ لأنّ شأن العرب تقديم الأهم ، ينظر : المحرر الوجيز : ٧٢/١ ؛ والبحر المحيط : ٤٢/١ . والذي يبدو لي أنّ ابن الأثير كان موافقًا لما ذهب إليه ابن عطية في هذه المسألة ، ومَنْ ثمَّ جاء أبو حيّان ليوافق الاثنين فيما ذهبوا إليه ، وهذا يعني أنّ المتقدم لو أُجْزَرَ لما تغيّر المعنى . والذي يميل إليه الباحث هو ما ذهب إليه الزمخشري والبيضاوي ؛ لأنّ هذا التقديم أفاد الاختصاص ، أي : نخصّك بالعبادة ولا نعبدُ غيرك .
- (١٧) لمعرفة أحكام تقديم المبتدأ عند النحويين ، ينظر : شرح التسهيل : ٢٩٦/١ - ٣٠٠ ؛ وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ٢٠٥/١ - ٢٠٩ ؛ وشرح التصريح على التوضيح : ٢١٣/١ - ٢١٧ ؛ وشرح ابن عقيل : ٢٢٧/١ - ٢٤٣ .
- (١٨) ينظر : المقتضب : ٨٩/٤ ؛ والمفصّل في صنعة الإعراب : ٤٦ ؛ واللّمحة في شرح الملحّة : ٥٨٢/٢ ؛ وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ٢٠٥/١ ؛ وشرح ابن عقيل : ٢٣٢/١ .
- (١٩) المقتضب : ٨٩/٤ ، والذي يراه الباحث أنّ المثال الثاني هو نفس المثال الأول ، والصحيح أنّ يُقال : كان أخوك المنطلق ، وكان المنطلقُ أخاك ، ولعل ذلك خطأ من النسخ .
- (٢٠) المفصّل في صنعة الإعراب : ٤٦ .
- (٢١) ينظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ٢٠٥/١ .
- (٢٢) ينظر : مفتاح العلوم : ٢١٣ - ٢١٧ ؛ والبلاغة العربية : ٣٥٦/١ .
- (٢٣) الأعراف : ٥٤ .
- (٢٤) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ٥٦/٢ ، ٥٧ ؛ والبلاغة العربية : ٣٥٧/١ .
- (٢٥) صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب ما جاء في الإصلاح بين النَّاس ، برقم : (٢٦٩٢) : ١٨٣/٣ ؛ ومسلم في صحيحه ، كتاب البرِّ والصلّة والآداب ، باب تحريم الكذب وبيان ما يُباح منه ، برقم : (٢٦٠٥) : ٢٠١١/٤ .
- (٢٦) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري : ٣٠٢/٥ ، ولم أجد في كتب شروح الحديث من تكلم بهذه المسألة غير الكوراني .
- (٢٧) للاطلاع على أحكام تقديم الخبر على المبتدأ عند النحاة ينظر : شرح المفصّل لابن يعيش : ٢٣٤/١ ؛ وشرح الأشموني : ٢٠٢/١ - ٢٠٤ ؛ وهمع الهوامع في شرح الجوامع : ٣٨٧/١ .
- (٢٨) ينظر : الأصول في النحو : ٦٢/١ ؛ والإيضاح في شرح المفصّل : ١٨٤/١ .
- (٢٩) دلائل الاعجاز : ٥٢ .
- (٣٠) معاني النحو : ٩/١ .
- (٣١) ينظر على سبيل المثال لا الحصر : دلائل الاعجاز : ١٢٨-١٣٨ ؛ ومفتاح العلوم : ١٣٥-١٥٦ ؛ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ١٧٢/٢ - ١٨٦ ؛ والإيضاح في علوم البلاغة : ٨٠/٢ - ٨٤ .
- (٣٢) استدلُّوا بآيات من القرآن الكريم وبأحاديث نبويّة شريفة ربما قالته العرب من شعرها ونثرها ، ولا مجال للباحث أن يكثر منها في هذه المسألة ، وهذه الشواهد موجودة في كل كتب البلاغة . ينظر على سبيل المثال لا الحصر : الإيضاح في علوم البلاغة : ١٩٧/٢ ؛ وعلوم البلاغة البيان والمعاني والبديع : ١٠٦ ؛ والبلاغة العربية : ٣٨١/١ .
- (٣٣) البيت من البسيط وهو لمحمّد بن وهيب في مدح المُعتصم ، وأورده محمد بن علي الجرجاني في الاشارات : ٧٩ ، وفي الأغاني : ٧٩/١ ، وبلا نسبة في تاج العروس (شرق) : ٥٠٠/٢٥ .

- (٣٤) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ١٩٧/٢ ؛ وعلوم البلاغة البيان والمعاني والبديع : ١٠٦ ؛ والبلاغة العربية : ٣٨١/١ .
- (٣٥) ينظر : علم المعاني : ١٣٧ .
- (٣٦) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب التوحيد ، بابُ قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (الأنبياء : ٤٧) ، وأن أعمال بني آدم وقولهم يُوزن ، برقم (٧٥٦٣) : ١٦٢/٩ ؛ ومسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ، برقم (٢٦٩٤) : ٢٠٧٢/٤ .
- (٣٧) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري : ٣٢٧/١١ .
- (٣٨) ينظر على سبيل المثال لا الحصر : مفتاح العلوم : ٢٢١ ؛ واللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح : ٥٤٧/١٧ ؛ وفتح الباري شرح صحيح البخاري : ٥٤٠/١٣ ؛ وسُبل السَّلام : ٧١٧/٢ ؛ والكوكب الوهاج والروض البهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج : ٥٤/٢٥ .
- (٣٩) ينظر : مفتاح العلوم : ٢٢١ ؛ وفتح الباري شرح صحيح البخاري : ٥٤٠/١٣ .
- (٤٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري : ٥٤٠/١٣ ؛ وينظر : سُبل السلام : ٧١٧/٢ .
- (٤١) جزء من حديث سبق تخريجه في الصفحة : (٧) ، وبالهامش : (٣٦) .
- (٤٢) صدر بيت سبق تخريجه في الصفحة : (٧) ، وبالهامش : (٣٣) .
- (٤٣) ينظر : أصول الإنشاء والخطابة : ٨١ ، ٨٢ .
- (٤٤) ذكر شراح الحديث أن من قام بهذا الترجيح هو العلامة المحقق الكمال بن الهمام ، ولم يذكره غيره ، ينظر : مُنحة الباري بشرح صحيح البخاري : ٤٤٣/١٠ ، ومراعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : ٤٥٢/٧ ؛ والمنهل الحديث في شرح الحديث : ٢٧٣/٤ ، والعلامة المحقق الكمال بن الهمام هم محمد بن عبد الواحد الإسكندرِي ، المعروف بابن الهمام ، إمام من علماء الحنفية ، عارف بأصول الديانات والتفسير والفرائض والفقه ، ينظر : موسوعة الاعلام : ٤٨٢/١ . وهو صاحب كتاب فتح القدير ، ولم أعر علسترجيحه في كتابه هذا .
- (٤٥) اشارة إلى الحديث الذي سبق تخريجه في صفحة : (٧) ، وبالهامش : (٣٦) .
- (٤٦) اشارة إلى الحديث الذي سبق تخريجه في صفحة : (٧) ، وبالهامش : (٣٦) .
- (٤٧) المنهل الحديث في شرح الحديث : ٢٧٣/٤ .
- (٤٨) المصدر نفسه : ٢٧٣/٤ .
- (٤٩) ينظر : المصدر نفسه : ٢٧٣/٤ .
- (٥٠) قُصِدَ بها : القصر بالعطف ، وبالنفى والاستثناء ، وبالقصر بـ (إنما) ، بتقديم ما حَقُّه التأخير ، وينظر : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح : ٣٩٧/١ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٥ .
- (٥١) ينظر : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح : ٤٠٥-٤٠٧/١ ؛ وجواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : ١٧٧ ، ١٧٨ .
- (٥٢) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة : ٢١/٣ ؛ وعروس الأفراح : ٣٩٣/١ .
- (٥٣) ينظر : مفتاح العلوم : ٢٩٢ ؛ والإيضاح في علوم البلاغة : ٢٩/٣ ؛ وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح : ٢٣٣/٢ .
- (٥٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ؛ بابُ سؤالِ جبريلَ (عليه السلام) النبيِّ محمد (صلى الله عليه وسلم) عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ، برقم (٥٠) : ١٩/١ ؛ ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان والإسلام والقَدْر ، وعلامة الساعة ، برقم (٩) : ٣٩/١ .
- (٥٥) لقمان : ٣٤ .
- (٥٦) قصَدَ الكورانيُّ بهذا الفعلِ النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) .
- (٥٧) لقمان : ٣٤ .
- (٥٨) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري : ١٢٥/١ ، ١٢٦ .
- (٥٩) : ٣٢٤/١٢ .
- (٦٠) التحرير والتنوير : ١٩٨/٢١ .

- (٦١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ١٠٨/١١ .
 (٦٢) لقمان : ٣٤ .
 (٦٣) ينظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل ، رقم الحديث (٤١٦٧) : ٢٣٢/٧ .
 (٦٤) مريم : ٤٦ .
 (٦٥) ينظر : الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور : ١١٠ ؛ والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ٣٨/٢ ؛ والطراز لأسرار البلاغة : ٣٩/٢ .
 (٦٦) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني : ٢٠٩/٢ .
 (٦٧) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب المعاصي من أمر الجاهلية ، ولا يُكْفَرُ صَاحِبُهَا بِأَرْبَابِهَا إِلَّا بِالشَّرْكِ ، برقم (٣٠) : ١٥/١ ؛ ومُسْلِمٌ في صحيحه ، كتاب الإيمان ، بابُ إِطْعَامِ المَمْلُوكِ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَإِلْبَاسِهِ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلَا يَكْلَفُهُ مَا يَغْلِبُهُ ، برقم (١٦٦١) : ١٢٨٣/٣ .
 (٦٨) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري : ٩٠/١ .
 (٦٩) كتاب العين ، مادة (خول) : ٣٠٥/٤ ؛ وينظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، مادة (خول) ١٩٦٠/٤ ؛ وينظر مقاييس اللغة ، مادة (خول) : ٢٣٠/٢ .
 (٧٠) ينظر : على سبيل المثال لا الحصر : فتح الباري شرح صحيح البخاري : ١٧٤/٥ ؛ وعمدة القاري شرح صحيح البخاري : ٢٠٧/١ ؛ وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري : ١١٦/١ ؛ وكوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري : ١١٩/٢ .
 (٧١) ينظر : عمدة القاري : ٢٠٨/١ ؛ وإرشاد الساري : ١١٦/١ ؛ والادب النبوي : ٧٥ ؛ والمنهل الحديث في شرح الحديث : ٢٨/١ .
 (٧٢) ينظر : الكواكب الدراري : ١٣٩/١ ؛ والتيسير بشرح الجامع الصغير : ٥٢/١ .
 (٧٣) ينظر : مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير : ١٧٨/١ .
 (٧٤) ديوانه : ٢٩٨/٤ .
 (٧٥) ينظر : الكواكب الدراري : ١٣٩/١ ؛ وعمدة القاري : ٢٠٨/١ ؛ والمجالس الوعظية : ٤٦/٢ .
 (٧٦) ينظر : دلائل الإعجاز : ٣٧٣ .
 (٧٧) الكتاب لسبويه : ٣٤/١ .
 (٧٨) ينظر : على سبيل المثال لا الحصر : المقتضب : ٩٥ ، ٩٦ ؛ والأصول في النحو : ٢٨٦/٢ ، ٢٨٧ ، وعمل النحو : ٢٨٥ ؛ والإيضاح في علوم البلاغة : ١٦٦/٢ - ١٦٨ ، ١٧٣ ؛ والبلاغة العربية : ١٤٩/١ ، ١٥٠ .
 (٧٩) هذا البيت من شواهد الكتاب ، ولم ينسبه سبويه لقائل مُعَيَّن ، ينظر : الكتاب : ١٨١/١ ؛ وهو بلا نسبة في خزنة الادب : ٢١٩/٤ ؛ وقال عنه د . إميل بديع يعقوب : بأنه من الطويل ، ولم ينسبه لقائل ، ينظر : المعجم المفصل في شواهد العربية : ٣٣٦/٤ .
 (٨٠) الأصول في النحو : ٤٦٥/٣ .
 (٨١) ينظر : شرح كتاب سبويه : ٣٦/٢ ؛ والبديع في علم العربية : ٧٠٣/٢ .
 (٨٢) فاطر : ٣٢ .
 (٨٣) غافر : ٥٣ .
 (٨٤) ينظر : معاني النحو : ٩١/٢ ، ٩٢ .
 (٨٥) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الوضوء ، باب التسمية على كُلِّ حالٍ وعند الوقاع ، برقم (١٤١) : ٤٠/١ ؛ ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب ما يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَهُ عند الجماع ، برقم (١٤٣٤) : ١٠٥٨/٢ .
 (٨٦) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري : ٢٨٦/١ .
 (٨٧) آل عمران : ٣٦ .
 (٨٨) شرح صحيح البخاري لابن بطال : ٢٣٠/١ .
 (٨٩) الاخلاص : ٤ .

- (٩٠) الكتاب : ٥٦/١ .
- (٩١) ينظر : مفتاح العلوم : ٢٣٦ ، ٢٣٧ .
- (٩٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب المرور في المسجد ، برقم (٤٥٢) : ٩٨/١ ؛ ومسلم في صحيحه بروايتين ، وتخريجهما في الهامشين الآتيين .
- (٩٣) هو الحافظ الثبُتُ حمّاد بن أسامة بن زيد ، أبو أسامة الكوفي مولى بني هاشم ، من الإثبات في الروايات ، وهو ثقة ، ويُعدُّ من حكماء أصحاب الحديث ، وكان أعلم الناس بأمور الناس وأخبار أهل الكوفة ، ينظر : الثقات لابن حبان : ٢٢٢/٦ ؛ ومشاهير علماء الأئمة وأعلام فقهاء الأقطار : ٢٧٣ ؛ وسير أعلام النبلاء : ٢٧٧/٩ ، ٢٧٨ .
- (٩٤) هذه الرواية التي نسبها الكوراني إلى أبي أسامة رواها مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب أمر من مرَّ بسلاح في مسجدٍ أو سوقٍ أو غيرهما من المواضع الجامعة للناس أن يُمسكَ بِنِصَالِهَا ، برقم (٢٦١٥) : ٢٠١٩/٤ .
- (٩٥) وهذه الرواية الثانية في صحيح مسلم ، وهي في الكتاب نفسه ، والباب نفسه ، وذات الرقم نفسه ، والجزء والصفحة كذلك .
- (٩٦) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري : ١٣٣/٢ .
- (٩٧) كتاب العين ، مادة (نصل) : ١٢٤/٧ ؛ وينظر : الدلائل في غريب الحديث ، مادة (نصل) : ٧٤٩/٢ ؛ والمنجد في اللغة ، مادة (نصل) : ١٥٥ .
- (٩٨) كتاب العين ، مادة (عقر) : ٤٩/١ ؛ وينظر : جمهرة اللغة ، مادة (رقق) : ٧٦٨/٢ ؛ وتهذيب اللغة ، مادة (عقر) : ١٤٥/١ .
- (٩٩) ينظر : الصفحة السابقة من هذا البحث .
- (١٠٠) ينظر على سبيل المثال لا الحصر : الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري : ١١٢/٤ ؛ وعمدة القاري شرح صحيح البخاري : ٢١٦/٤ ؛ وإرشاد الساري لشرح صحيح البخاري : ٤٤٤/١ ؛ وفيض القدير شرح الجامع الصغير : ٤٤٣/١ .
- (١٠١) ينظر : الكوثر الجاري إلى رياض احاديث البخاري : ١٣٣/٢ .
- (١٠٢) ينظر : مُنحة الباري بشرح صحيح البخاري : ١٦١/٢ ؛ وكوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري : ٢٠٣/٧ .